منهج القرآن الكريم
في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد

إعداد:

د. علي بن عبدالله القرني

د.علي بن عبدالله القرني

- الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ـ حصل على درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها)
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (كتاب العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) من أول الكتاب إلى نهاية باب ما جاء في كثرة أمة سيدنا محمد ﷺ ومن يدخل الجنة بغير حساب - دراسة عقدية -)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد:

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للتلقي عند أهل السنة والجماعة وهذه ميزة امتازوا بها على سائر الفرق والطوائف، وليست مجرد دعوى يرددونها ويزعمونها بل هي عقيدة يدينون لله بها ويتعبدون له بذلك.

والرد على المخالف لمنهجهم القويم، وصراطهم المستقيم، جهاد أمرهم به ربهم تعالى، ورفع لوائه نبيهم – صلى الله عليه وسلم –، وسار من ورائه أئمتهم الكرام في سائر الأمصار ومختلف الأزمان فحموا حوزة الدين وذبّوا عنه ضد كل ضال مضل أثيم، وهذا بحث متواضع في هاتين القضيتين المهمتين حاولت فيه إظهار معالم القضية الثانية ورسم منهجها من خلال القضية الأولى.

فكانت هذه الورقات المعدودة هي حصيلة هذه المحاولة المتواضعة، وجعلت عنوانها (منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد).

أسباب اختيار الموضوع :

١-إبراز منهج القرآن الكريم (المصدر الأول للتلقي عند أهل السنة والجماعة) في الرد على المخالفين ، لالتزامه والسير على هداه .

٢- لأني حسب علمي المحدود لم أقف على كتابة متخصصة مستقلة فيه [(١)]

(١) وقفت بعد انتهائي من البحث على عنوان حول هذا البحث وهو: "منهج القرآن الكريم =

مع الحاجة الماسة لذلك في هذا العصر الذي كثرت فيه الآراء والردود وأسأل الله تعالى أن يقيض له عَلماً من العلماء الأجلاء ليسد هذه الحاجة ويفيد فيها.

ولكون جوانب هذا الموضوع كثيرة جداً فإني لم أتعرض لها كاملة في هذا البحث المختصر وإنما اخترت ما تيسر من تلك الجوانب، ولم أسهب فيها لأن بعض هذه الجوانب جدير بأن يكون بحثاً مستقلاً بذاته.

وقد سرت في هذا البحث وفق الخطة التالية:

المقدمة – وهي ما نحن بصدده الآن –.

الفصل الأول: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث.

المبحث الثاني: أسباب اختيار منهج القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أهمية الرد على المخالف.

الفصل الثاني: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد.

المبحث الثاني: بعض المخالفين الذين ردّ عليهم القرآن الكريم في مسائل الاعتقاد.

الخاتمة.

الفهارس.

= في الرد على اليهود والنصارى" د/ نادية الشرقاوي ولم أطلع على مضمونه.

أما المنهج الذي سرت عليه في إعداد هذا البحث فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث استقرأت القرآن الكريم وجملة من تفاسيره والكتب المصنفة في علومه الأخرى لاستخراج الطرق والأساليب والوسائل التي استعملها القرآن الكريم في رده على المخالفين.

وقد وضعت لكل أسلوب أو طريقة منها عنواناً يعبر عنها، وذكرت تحت كل عنوان الشاهد عليه من الآيات، ثم أذكر كلام العلماء الذي ينص على دلالة الآية على ذلك الأسلوب أو الطريقة.

أما صياغة البحث فقد سلكت فيها المنهج العلمي المتبع في ذلك ومنه:

١- عزو الآيات إلى سورها وبيان أرقامها.
٢- تخريج الأحاديث التي ترد في البحث وذكر كلام العلماء في بيان درجتها إن لم تكن في الصحيحين.
٣- وثقت كلام أهل العلم الذي أوردته في تفسير الآيات من مصادره.
٤- لم أترجم للأعلام طلباً للاختصار.
٥- أخرت بيانات المراجع إلى فهرس المراجع.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون وفقت فيما سطرته في هذا البحث للحق والصواب.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث.

المبحث الثاني: أسباب اختيار منهج القرآن الكريم.

المبحث الثالث : أهمية الرد على المخالف .

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث

المنهج: (النهج) الطريق الواضح، يقال طريق نهج بيّن واضح، والمنهاج كالمنهج، ونهج: كمنع ووضح. وأوضح الطريق: سلكه. وأنهج الطريق وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً. ونهج فلان سبيل فلان: سلك مسلكه.

قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة: ٤٨].

وفي الحديث: "لم يمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى ترككم على طريق ناهجة"[(١)]. أي واضحة بينة. ونهج الأمر وأنهج لغتان. إذا وضح[(٢)].

ومن خلال هذه التصاريف لكملة (منهج) يتبين أن المنهج هو الطريق الواضح المستبين المؤدي إلى المقصود والمراد.

والطريق المقصود في العنوان هو: الطريق الذي سلكه القرآن الكريم، وهو الطريق الذي سنّه الله تعالى لعباده في شؤون حياتهم جميعاً.

ولما كانت هذه الأمة مأمورة باتباع منهج القرآن الكريم في جميع شؤون الحياة قُيّد هذا البحث بالرد على المخالف حتى يتبين المراد والمقصود بالحديث عن منهج القرآن الكريم في هذا البحث.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: ٥/ ٤٣٤.

(٢) لسان العرب: مادة (نهج) ٦/ ٤٥٥٤، والقاموس المحيط: باب الجيم فصل النون: ص ٢٦٦.

القرآن الكريم :

اختلف العلماء في المراد بالقرآن في اللغة: فقال جماعة هو اسمٌ علمٌ غير مشتق خاص بكلام الله، وقال آخرون: هو مصدر قرأ، زيدت فيه الألف والنون كما زيدت في الغفران والرجحان، واختلف فيه فقيل: إنه مصدر بمعنى اسم المفعول فمعنى القرآن المقروء أي المظهر المبرز أو المتلو، وقال آخرون – أيضاً –: إنه مصدر بمعنى اسم الفاعل، فالقرآن بمعنى القارئ أي جامع ثمرات الكتب المتقدمة. وحاوٍ لكل ما فيها من العلوم والمعارف.

ولا مانع من حمل كلمة القرآن على المعنيين لكونه جاء ليقرأ ويتلى وتظهر للناس أحكامه وتعاليمه، وأنه جاء أيضاً جامعاً لثمرات الكتب المتقدمة فقصره على أحد المعنيين لابد له من دليل [١].

هذا من حيث اللغة، أما من حيث المعنى الشرعي للقرآن الكريم فهو: كلام الله تعالى "سوره وآياته وكلماته. تكلم به بحروفه ومعانيه. ولم يُنزله على أحدٍ قبل محمد – صلى الله عليه وسلم – أسمعه جبريل عليه السلام، وأسمعه جبريل محمداً – صلى الله عليه وسلم –، وأسمعه محمد – صلى الله عليه وسلم – أمته، وليس لجبريل ولا محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – إلا التبليغ والأداء وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وهو الذي في المصاحف، يتلوه التالون بألسنتهم، ويقرؤه المقرئون بأصواتهم، ويسمعه السامعون بآذانهم، وينسخه النساخ، ويطبعه الطابعون بآلاتهم، وهو الذي في صدور

(١) تفسير الطبري: ١/ ٦٧-٦٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي:٢/ ٣٣٩ – ٣٤١.

الحفاظ، بحروفه ومعانيه، تكلم الله به على الحقيقة، فهو كلامه على الحقيقة لا كلام غيره، منه بدأ، وإليه يعود، وهو قرآن واحد منزل، غير مخلوق، كيفما تصرّف: بقراءة قارئ، أو بلفظ لا فظ، أو بحفظ، حافظ، أو بخط كاتب، وحيث تُلي، وكتب، وقرئ، فمن سمعه فزعم أنه مخلوق فقد كفر"(١).

الرد: صرف الشيء ورجعه والرد مصدر رددت الشيء، ورده عن وجهه يرده رداً ومرداً وترداداً: صرفه، ورده عن الأمر ولدّه أي صرفه عنه برفق.

ورده عليه: لم يقبله وخطأه. والارتداد:الرجوع (٢).

وفي المفردات، الرد: صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله.

يقال: رددته فارتد، قال تعالى:﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، فمن الرد بالذات قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٨]،ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله: ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

والارتداد والردة الرجوع في الطريق الذي جاء منه، لكن الردة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره (٣).

---

(١) العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية: ٨٠ .

(٢) انظر: القاموس المحيط، بال الدال فصل الراء: ٣٦٠ .

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن: ١٩٢.

والمراد بالرد في عنوان هذا البحث:

إبطال القرآن الكريم للآراء والدعاوى المخالفة للحق مع بيان فسادها وضلال القائلين بها.

المخالف: المخالف اسم فاعل من خالف يخالف فهو مخالف، وأصل هذه الكلمة من "خلف" وله معانٍ عدة أكتفي منها بخمسة، وهي:

١- **التغيير:**

"يقال: خلف الرجل عن خلق أبيه يخلف خلوفاً: إذا تغير عنه" [(١)].

ويقال: خلف فم الصائم خلوفاً: إذا تغيرت رائحته، وخلف اللبن والطعام إذا تغير طعمه أو رائحته [(٢)].

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: "قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، فو الذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك" [(٣)].

٢- **النقيض:**

فالخلف: نقيض الوفاء بالوعد والإخلاف: أن لا يفي بالعهد. وأن يعد الرجل العدة فلا ينجزها، ورجل مخلاف كثير الإخلاف لوعده، ويقال للذي لا يكاد يفي إذا وعد: إنه لمخلاف، ورجل مخالف: لا يكاد يوفي

(١) لسان العرب: ٩/ ٩٣.

(٢) انظر: المصباح المنير: ١/ ١٧٨ ولسان العرب: ٩/ ٩٢-٩٣.

(٣) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم: ٢/ ٢٢٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام ٢/ ٨٠٦، رقم ١٦١.

بوعده، والاسم من ذلك الخُلف بالضم [1].

٣- العصيان:

يقال: "خالفه إلى الشيء: عصاه إليه، أو قصده بعدما نهاه عنه" [2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود: ٨٨]. أي لست أنهاكم عن شيء وأرتكبه كما لا أترك ما أمرتكم به.

وقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣].

وفي لسان العرب: "خلف فلان بعقبى: وذلك إذا ما فارقه على أمر ثم جاء من ورائه فجعل شيئاً آخر بعد فراقه" [3].

٤- عدم الاتفاق:

يقال: "تخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد منهم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر" [4].

ومنه الخلفة واللجوج.

"وتخالف الأمران واختلفا أي لم يتفقا وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف" [5].

وقيل: سمّي شجر الصفصاف بشجر الخلاف، لأنه نبت مخالفاً لأصله [6].

---

(١) انظر: لسان العرب: ٩/ ٩٤.

(٢) المصدر السابق: ٩/ ٩٠.

(٣) المصدر السابق: ٩/ ٩٠.

(٤) المصباح المنير: ١/ ١٧٩.

(٥) لسان العرب: ٩/ ٩١.

(٦) انظر: المصدر السابق: ٩/ ٩٧.

٥- المضادة:

يقال خالفه إذا ضاده، ومنه قولهم في المثل:

إنما أنت خلاف الضبع؛ لأن الضبع إذا رأت الراكب هربت منه [(١)].

وفي المفردات: "الاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴾ [مريم: ٣٧]. وقال: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨]. وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٧٦]، قيل: أتوا فيه بشيء خلاف ما أنزل الله [(٢)].

هذا من حيث اللغة – وهو بعضٌ من معاني هذه الكلمة – أما في الاصطلاح: فعلى ضوء ما توفر لدي من اجتهادات حول تعريفه – أقول والله تعالى أعلم بالصواب- .

المخالف هو: من اعتقد أو قال أو فعل ما يضاد أو يغاير أو يناقض الدليل الصريح الصحيح أو الراجح أو الأولى.

وهذا التعريف – في نظري – هو الذي يؤدي المراد بالمخالف. والله أعلم.

---

(١) انظر: المصدر السابق: ٩/ ٩٠.

(٢) المفردات: ١٥٦.

المبحث الثاني: أسباب اختيار منهج القرآن الكريم

سبب الاقتصار على منهج القرآن الكريم دون سائر المناهج المخالفة له، ما يلي:

١- الأدلة الكثيرة الواردة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة في الأمر بالالتزام بالقرآن الكريم، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

- قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥ – ١٥٧].

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

- قوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]. وغير ذلك من الآيات كثير جداً.

ومن الأدلة الواردة في السنة ما يلي:

- قوله – صلى الله عليه وسلم – "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ..." [(١)].
- قوله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه: "أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى. قال: إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً"[(٢)].
- قوله – صلى الله عليه وسلم – إذا خطب: "أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها... "[(٣)].
- ما ورد عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه خط يوماً خطاً ثم قال: "هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب حجة النبي – صلى الله عليه وسلم – ٢/ ٨٩٠، رقم ١١٢٨.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب الوحي باب ذكر نفي الضلال عن الأخذ بالقرآن ١/ ٣٢٩، وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب فضائل القرآن باب في التمسك بالقرآن ٦/ ١٢٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٩:" رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح" .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/ ٥٩٢، رقم ٨٦٧.

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (١).

- وفي الحديث سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه ستكون فتن، فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تختلف به الآراء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم"(٢).

قال شيخ الإسلام – ابن تيمية – بعد ذكره لهذا الحديث: "وفي ذلك بيان أن كل علم دينٍ لا يطلب من القرآن فهو ضلال..." (٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢/ ٢٦١، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه ١/ ١٨٠، وأحمد في مسنده ٧/ ٢٠٧، حديث رقم ٤١٤٢، وابن أبي عاصم في السنة ص ١٣، وحسنه الألباني في تحقيقه لها، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/ ٨٠، وحسنه الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن: ٥/ ١٧٢، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال، والدارمي في سننه كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن: ٢/ ٥٢٦، والبزار في مسنده: ٣/ ٧٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٢٦.

(٣) الاستقامة : ١/ ٢٠.

وطلباً للاختصار أكتفي بهذا القدر اليسير مما ورد في القرآن والسنة من الأمر باتباع القرآن والالتزام به.

٢- أن السلف متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب وهو أعلى منها درجة، وهيمنته عليها من وجوه متعددة منها: أنه شاهد بصدقها وبكذب ما حرف منها، ومعجز في نفسه لا يقدر الخلائق أن يأتوا بمثله، وفيه من ضرب الأمثال وبيان الآيات على تفصيل ما جاء به الرسول مالو جمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن عندهم إلا بعض ما جاء به القرآن ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر ولا كتاب آخر فضلاً عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه عن غيره، سواءً كان من علوم النقل أو علوم العقل [1].

٣- أنه لما نزل القرآن الكريم تباينت منه مواقف الناس، واختلفت اتجاهاتهم مع قصدها جميعاً النيل من قداسته، والإساءة إليه، وهذا يجعلنا نحرص على معرفة منهجه في التعامل مع هذه الاتجاهات والمواقف المتباينة لنتخذ منه منهجاً نسير عليه في سائر مواقفنا مع المخالفين، لاسيما وأن العقل البشري يتطلع دائماً إلى قوة الإقناع عن طريق الحجة والبرهان والعلم [2].

٤- لأن طريقة القرآن الكريم في الاستدلال والإقناع أولى وأبلغ، ولو سُوّغ لناظر أن يعارض هذه الطريقة برأيه ومعقوله لما كان هناك أمر مضبوط

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٧/ ٤٣-٤٥.

(٢) انظر: مناهج الجدل: ٦.

يحصل له به علم ولا هدى، بل سيقع فيما يوجب حيرته وشكه، ولن يظفر بيقين يطمئن إليه، ولا معرفة يسكن بها قلبه، وقد أخبر بهذا الفخر الرازي وهو ممن جرب المسالك العقلية المخالفة لطريقة القرآن فقال: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن الكريم، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]،﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]،﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي [١].

ولهذا لا يعرف في قديم الزمان ولا حديثه أن أحداً أقام دليلاً صحيحاً وحجة قاطعة يعارض بها أدلة القرآن الكريم وحججه، بل لم يذكروا إلا ما يدل على عجزهم وانقطاعهم.

٥- لأن من تأمل القرآن الكريم وتدبره اطلع فيه "من أسرار المناظرات وتقرير الحجج الصحيحة وإبطال الشبه الفاسدة وذكر النقض والفرق المعارضة والمنع على ما يشفي ويكفي لمن بصره الله وأنعم عليه بفهم كتابه" [٢].

٦- لأن القرآن الكريم لم يخضع يوماً من الأيام لقواعد وضعها البشر، فلم يلتزم طريقة المناطقة والمتكلمين الاصطلاحية في المقدمات والنتائج، بل

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٧/ ٣٤٦، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٨١.

(٢) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٣٠.

جاء بلسان العرب وطريقتهم في التخاطب، فطريقته تجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير، ووضوح التعبير وسلامة التركيب دون إخلال بالصورة البيانية التي تثير الضمير وتوقظ المدارك النفسية وتدفع بالعقول إلى النظر، دون ارتباط بالاصطلاحات المنطقية الفلسفية المعقدة.

والقرآن الكريم يرشد المخالف إلى العقل الصريح؛ لأن العقل هو أغلى ما يفاخر به من يناظر ويجادل، والقرآن لا يخشى نتائج العقل لأنها دائماً – إذا كانت صحيحة صريحة – لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، ولذلك أمر القرآن الكريم في نصوص كثيرة بإعمال الفكر والنظر.

وعناية القرآن واشتماله على الأدلة العقلية الصريحة جعلته حجة على كل الناس، لاسيما الذين غلبت عليهم الدراسات العقلية والفلسفية [(١)].

يقول الزركشي: "القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وأنه ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد ينبئ عن كليّات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق الحكماء والمتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[إبراهيم: ٤].

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل

(١) مناهج الجدل: ١٠٥، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٨٢- ٣٩٣.

من الكلام" (١).

٧- لأن "الاعتماد في الاستدلال على ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس دون عمل فكري عميق أقوى أثراً وأبلغ حجة، وقد اشتملت أدلة القرآن الكريم وبراهينه على ما فطرت عليه النفوس، وما تشهد بصحته العقول دون إخلال بأحكام الحجة وروعة البيان وسلامة المنطق، فهو في تناول الخاصة والعامة يأتي من الحقيقة البرهانية بما يرضي العقول، ومن المتعة الوجدانية ما يهز القلوب ويحرك المشاعر.

فالقرآن الكريم في استدلاله يفتح أمام العقل البشري آفاقاً من الحكم والعظات ويدخل على القلب أنواعاً من الأحاسيس الوجدانية من تشويق وترقيق وتحذير وتنفير وتهويل وتعجب، وإنك لتلمس ذلك في مطالع سوره وآياته (٢).

قال تعالى: ﴿ مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

٨- أن القرآن الكريم "يستهدف الحقائق في ذاتها، ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الأمور المعينة مثل الأمور الغيبية كقصة نوح وخطابه لقومه وأحواله المعينة، وإبراهيم مع قومه وأحواله المعينة، ومثل موسى وعيسى وأحوالهما المعينة، وليس شيء من ذلك يمكن أن

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٢٤.

(٢) مناهج الجدل: ١٠٦- ١٠٧.

يعرف بالقياس لا البرهاني ولا غيره" [١].

فالقرآن الكريم في ردّه على المخالف إذا أراد إفحامه وإلزامه فعل ذلك بأقرب الطرق وأقواها إلزاماً وإفحاماً.

٩- لأن القرآن الكريم تعامل مع كل مخالف بما يتناسب مع حالته العلمية والاعتقادية، والأصل في هذه المعاملة أن تكون بالتي هي أحسن، ولا يعدل القرآن عنها إلا إذا كان المخالف "لم يصغ للحق ولم يستخدم عقله فيما يلقى إليه من بيان معزز بالبراهين والحجج ولعل ذلك يفهم من الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[العنكبوت: ٤٦]" [٢].

فالغالب في القرآن الكريم مجادلة المشركين "جدل هداية ودلالة، وقد يشتمل على تخطئة بعض مزاعمهم، بينما يكون جدل القرآن مع أهل الكتاب جدل تخطئه وإلزام لأنهم على علم. أما جدل القرآن مع المنافقين فتبدوا عليه سمات الشدة والقسوة مصحوباً بالتهديد والوعيد" [٣].

ولابد من العلم بأن القرآن الكريم مع رده على كل مخالف بما يتناسب معه، فإنه "لا يُذكر فيه مخاطبة كل مبطل بكل طريق، ولا ذكر كل ما يخطر بالبال من الشبهات وجوابها، فإن هذا لا نهاية له ولا ينضبط، وإنما يذكر الحق والأدلة الموصلة إليه لذوي الفطر السليمة... فإن مثل هذا الكتاب

(١) مناهج الجدل: ٤٢٩، ومنهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد: ١/ ٣٨٥.

(٢) مناهج الجدل: ٤٣٣.

(٣) المصدر السابق: ٤٣٣، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٩٣- ٣٩٦.

العزيز لا يليق أن يذكر فيه من الطرق ما يثقل على جمهور الخلق ويستركّونه ويعدونه لكنة وعياً لا يحتاج إليه، ويرونه من باب إيضاح الواضحات..."(١).

١٠- ما امتاز به القرآن الكريم من ضم للأدلة، بعضها إلى بعض فتجد "في الآية الواحدة أو في عدد من الآيات المتتابعة عدداً من الأدلة كلها تدل على مدلول واحد ولا شك أن هذا الأمر يعطي الدليل قوة، ويزيد المدلول تأكيدا" (٢).

ويزيد في سبل الإقناع وضروب الهداية حتى يوافق مشارب الناس على تباين مقاصدهم وتفاوت مداركهم، فتجد كل طائفة منهم في القرآن ما يقنعها أو يرشدها أو يقطعها، وهذه الميزة مفقودة في ما سوى منهج القرآن الكريم وطريقته.

١١- لأن منهج القرآن الكريم يربط بين العقيدة والعمل "وهذه الصفة لا توجد في المناهج الوضعية التي تهدف إلى مجرد التصديق والإقناع والانتصار على الخصم، وطريقة القرآن لا تكتفي بذلك، بل تطلب لازم الإيمان والتصديق وهو العمل والعبادة لأن النفس لا تكمل بالعلم وحده إن لم يتبعه العمل" (٣).

قال ابن تيمية – رحمه الله –: "مفارقة الطريقة القرآنية الكلامية، أن الله

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٨/ ٨٨-٨٩.

(٢) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: ٣٢٩، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٩٠.

(٣) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: ٣٤٣.

أمر بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحها، وغايتها، ونهايتها، لم يقتصر على مجرد الإقرار به، كما هو غاية الطريقة الكلامية....، فالقرآن أخبر بالعلم به والعمل له، فجمع بين قوتي الإنسان العلمية والعملية: الحسية والحركية، الإرادية الإدراكية، والاعتمادية: القولية، والعملية" (١).

١٢- لأن منهج القرآن الكريم قائم على نفي كل شبهة وغبش حول العقيدة فهو يفصل فصلاً تاماً بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، بخلاف ما سوى القرآن من المناهج التي تثير الشبه لاحتمالها أكثر من معنى (٢).

يقول ابن القيم معلقاً على قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. "فتأمل هذا الكلام وعجيب موقعه في قطع الخصوم، وإحاطته بكل ما وجب في العقل، وأخذه بمجامع الحجة التي لم تبق لطاعن مطعناً ولا سؤلاً" (٣).

١٣- لتضمن القرآن الكريم "بشكل لا يرقى إليه شك أصول المبادئ المنهجية العلمية في البحث والتفكير، استمدها العلماء المسلمون فدونوا في مؤلفاتهم وصفاً دقيقاً لها واعتمدوها في بحوثهم" (٤).

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢/ ١٢.

(٢) انظر: عقيدة التوحيد: ٣٤٥.

(٣) الصواعق المرسلة: ٢/ ٤٨٩.

(٤) أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة: ٦١.

قال شيخ الإسلام – ابن تيمية –: "اشتمل القرآن على خلاصة الطرق الصحيحة، التي توجد في كلام جميع العقلاء من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم... ويوجد فيه من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام البشر بحال" [(١)].

١٤- ما ورد في القرآن الكريم من أسس ومبادئ المنهج الاستقرائي والمنهج الاستدلالي. وقد نصيت على هذين المنهجين بسبب تغني الغرب بهما وادعائهم السبق إلى اكتشافها[(٢)].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢/ ٤٦- ٤٧.

(٢) أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة: ٦٢.

المبحث الثالث: أهمية الرد على المخالف

إن الرد على المخالف له أهميته العظمى في الإسلام، لاسيما وقد انتهجه القرآن الكريم، ومُلأت به السنة الشريفة، وقام به علماء الإسلام على مر العصور، لحماية جناب هذا الدين الحنيف والذب عنه. والكلام حول هذه الأهمية جدير بأن يكون بحثاً مستقلاً لا مبحثاً ضمن هذا البحث المتواضع[1].

وحسبي هنا الإشارة إلى بعض الشواهد والأمثلة – من القرآن الكريم والسنة المطهرة وأفعال علماء الأمة وأقوالهم – الدالة على اهتمام هذا الدين العظيم وعلمائه بالرد على المخالف، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: القرآن الكريم:

لقد دلّ القرآن الكريم على أهمية الرد على المخالف من خلال آيات كثيرة جداً يمكن حصرها تحت **ثلاثة أوجه رئيسة:**

الوجه الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ

---

(١) من الكتابات المعاصرة حول أهمية الرد على المخالف:

أ-الرد على المخالف من أصول الإسلام، للشيخ د/ بكر أبو زيد – رحمه الله -.

ب-الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، للشيخ أحمد الصويّان.

ج -فقه التعامل مع المخالف، للشيخ عبد الله الطريقي.

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ [النحل:٣٦- ٣٩].

"فإن قوله – سبحانه – ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا ﴾ ، – على أحد التفسيرين – فيكون المعنى (بعثناه ليبين لهم الذي يختلفون فيه)... فبيان الخلاف بإظهار الحق من الباطل: مقصد عظيم من مقاصد بعثة الرسل؛ لتزول عن الأمة غشاوة الخلاف الطائش، والاختلاف الجائر" (١).

الوجه الثاني:

أن الرد على المخالف سبب رئيس من أسباب نزول القرآن الكريم مفرقاً ومنجماً، فقد سمّى الله سبحانه وتعالى الشبه التي أوردها الكفار أمثالاً فقال تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٨]. ثم بعد هذه التسمية قال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٢ – ٣٣].

ومعنى قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي: بحجة وشبهة ﴿ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أي: ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم (٢).

(١) الرد على المخالف: ٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦/ ١١٨.

فتبين أن القرآن نزل مفرقاً ليرد على أقوال المخالفين المعارضين وعلى شبههم.

الوجه الثالث:

ما ورد في القرآن الكريم من الآيات التي ذكرت الجدال والمحاجة بين الرسل – عليهم الصلاة والسلام – وبين أقوامهم، وأيضاً الآيات التي أشارت إلى آداب المجادلة والمحاجة أو ما حصل من الحوارات في الأمم السابقة – أي غير ما حصل بين الأنبياء وأقوامهم – وأيضاً ما رد الله به على شبه الكفار وأهل الكتاب وغيرهم من أهل الضلال.

ومن الآيات التي تدل على ما سبق ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١١ – ١٥].

٢- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ

مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٨ – ٢٦٠].

٣- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ التَّوْرَىٰةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٥ – ٦٨].

٤- قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَٰتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ

رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨١ – ١٨٤].

٥- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

٦- قوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٨١) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ (٨٢) وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام: ٨٠ – ٨٣].

٧- قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ (١٤٨) قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ (١٤٩) قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ

بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨ – ١٥٠].

٨- قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ ...إلى قوله: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٩- ٩٥].

وقد حوت هذه الآيات قصص عددٍ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما حصل مع أقوامهم خلال دعوتهم لهم، وقد حوى المقطع ردوداً صريحة منهم على اتهامات أقوامهم.

٩- قوله تعالى: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩١ – ١٩٩].

١٠- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾
ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ
إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠ – ٣١].

١١ – قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ
ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ
ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن
يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن
لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا
ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَـٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ
ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ
يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ
وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم
بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٣١ – ٤١].

١٢- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود: ٢٥- ١٠٠].

وفي هذه الآيات أيضاً ذكر لحال الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – مع أقوامهم وردهم عليهم.

١٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦].

١٤- قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

١٥- قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٢ – ٤٣].

١٦- قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٨ – ٥٢].

١٧- قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾ [مريم: ٤١-٤٨].

١٨- قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

١٩- قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۢ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢٠- قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس: ٧٨-٨٣].

٢١- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف:٤-١٢].

وغيرها من الآيات في الكتاب العزيز كثير جداً، ولكن ما سبق ذكره يدل مع الوجهين السابقين على اهتمام القرآن الكريم بالرد على المخالف إما تأصيلاً كما سبق في الوجهين الأولين وإما الرد عملياً - إن صح التعبير - من خلال ما ذُكر في الوجه الثالث من الآيات.

ثانياً: السنة النبوية:

دلّت السنة المطهرة على أهمية ومشروعية الرد على المخالف بجميع أنواعها: سواءً السنة القولية أو الفعلية أو التقريريّة، وسأذكر هنا نماذج منها فقط من غير حصر ولا توسع:

- عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال بينما نحن عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: "ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خِبت وخسرت إن لم أكن أعدل ... الحديث"(١).
- عن سعد بن أبي وقاص قال: "ردّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على عثمان ابن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصنا" (٢).
- عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(٣).

وهذا الحديث أصل عظيم في هذا الباب، وبه أختم ما يتعلق بدلالة السنة على هذه القضية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ٨/ ٥٢، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/ ٧٤٤، رقم ١٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء ٦/ ١١٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور ٣/ ١٦٧، ومسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور ٣/ ١٣٤٣، رقم ١٧١٨.

ثالثاً: أقوال الصحابة ومواقفهم:

سار الصحابة – رضي الله عنهم – على ما رسمه المصطفى – عليه الصلاة والسلام – في هذه القضية سواءً بقوله أو فعله أو تقريره.

وما ورد عن الصحابة – رضوان الله عليهم – في هذا الباب كثير جداً، ويصعب حصره في هذا المقام، لذا سأكتفي ببعض النماذج مما ورد عنهم – رضي الله عنهم – من الرد على المخالفين، ومن ذلك:

١- ما حدث في عهد عمر – رضي الله عنه – مع صبيغ بن عسل التميمي: "عن نافع أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص، إلى عمر بن الخطاب فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه قال أين الرجل؟ قال في الرحل، قال عمر أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة، فأتاه به فقال عمر: تسأل محدثة، فأرسل عمر إلى أرطاب من الجريد فضربه بها حتى ترك ظهره خبزة، ثم تركه حتى بريء ثم عاد له ثم تركه حتى بريء فدعا به ليعود له فقال له صبيغ إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً وإن كنت تريد تداويني فقد والله برئت فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب أن قد حسنت هيئته فكتب إليه عمر أن يأذن للناس يجالسونه" [(١)].

٢- لما أخبر عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – عن رجل يكذب

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح: ٦٣.

بالقدر، قال: دلوني عليه – وهو يومئذٍ أعمى – فقالوا له: ما تصنع به؟ فقال: "والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته بيدي لأدفنها"[١].

٣- عن عمرو بن سلمة الهمداني قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن ! إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حِلقاً جلوساً، ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظر رأيك، قال أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا يا أبا عبد الرحمن حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمّة محمد ما أسرع هلكتكم !

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي: ٣/ ٦٢٥، والسنة لعبد الله بن أحمد: ٢/٤١٦.

هؤلاء صحابة نبيكم – صلى الله عليه وسلم – متوافرون وهذه ثيابه لم تَبْل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوا باب ضلالة ؟ ! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حدّثنا: "أن قوماً يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمّية"، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ! ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: فرأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج" (١).

رابعاً: عصر التابعين ومن بعدهم:

بعد انقضاء عصر الصحابة – رضي الله عنهم – بل وفي آخر عصرهم أخذت البدع والمخالفات تظهر وتبرز شيئاً فشيئاً، ولم يمض زمن كثير حتى بدأت تأخذ طابع التأصيل والتقعيد، وأخذ الافتراق يسري في جسد أمة الإسلام، وبدأ الخرق يتسع على الراقع.

ولهذا كله أسباب وأحداث – ليس هذا مقام بسطها – إلا أن علماء الملة وأتباع الحق والنور لم يقفوا من ذلك موقف السلب والسكوت بل سلكوا ما سنّه نبيهم – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام، وردوا على كلّ من خالف وانحرف وشرع وابتدع، وكان ذلك بكل ألوان الرد قولاً

(١) أخرجه الدارمي في سننه: ١/ ٧٩، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٧/ ٥٥٣، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٢٠٠٥: إسناد صحيح.

وفعلاً واعتقاداً، وعلى سائر مستويات أولئك الأتباع، فلم يكن الرد قاصراً على العلماء فقط، بل أسهم فيه الولاة والأمراء ممن كان من أهل السنة وأنصارها.

وكتب الفرق والملل والنحل بل وكتب السنة والعقيدة والتاريخ، مليئة بشواهد ذلك.

الفصل الثاني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد.

المبحث الثاني: بعض المخالفين الذين رد عليهم القرآن الكريم في مسائل الاعتقاد.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد

لقد سلك القرآن الكريم أفضل الأساليب في الرد على المخالف، وأحكم المناهج وأقوى الحجج، والمتأمل لهذه الأساليب والحجج يجد أنها جاءت كثيرة ومتعددة، والسر في ذلك هو تعدد المخالفين وتنوعهم، وتفاوت مداركهم، واختلاف شبههم وحججهم. فجاء هذا التعدد علاجاً لذلك التنوع والتفاوت.

"فمن ترهيب للمتغطرسين الذين يصرون على المكابرة على الرغم من ظهور الدليل، إلى ترغيب تستمال به أكثر القلوب التي تريد ثمناً لكل تصرف يحدث منهم. إلى جدل يسوق المقدمات وينطق بالنتيجة أو يطالب السامع باستنتاجها، ويزيل الشبهة التي أدت إلى اختلاط الأمر، وهو أسلوب صالح لأرباب الثقافة ومن عندهم قدرة على التمييز والفهم، إلى أسلوب تلقيني يسوق الحق جلياً واضحاً، يخاطب به الجماهير التي لا نصيب لها من ثقافة تمكنها من أن تزن الأمور وتفهم الأدلة. وبهذا التعدد في الأساليب كان القرآن قمة في رعاية ما يقتضيه حال المدعوين" (١) والمخالفين.

وقد استخرج العلماء بعضاً من هذه الأساليب التي سلكها القرآن الكريم، كل منهم على حسب ما أوتي من العلم والمعرفة، إلا أنهم لم يصلوا إلى استخراج كل ما فيه من الأساليب، لأن لكل واحدٍ منهم عقلا وزمانا

(١) أسلوب الدعوة القرآنية: ١٩٢.

محدودا، والقرآن صالح لكل زمان ومكان، فهو لا زال حمّالاً لمزيد من الأساليب التي يمكن أن يستخرجها من تأمله وتدبره.

وسأذكر هنا ما يتبين لي من المناهج والأساليب التي سلكها القرآن الكريم سواءً خالفت المناهج الفلسفية أو وافقتها لأن القرآن الكريم منهج إلهي لا يجوز أن يُرد إلى المناهج العقلية القاصرة والمحدودة.

وأيضاً فالقرآن الكريم له نمطه وطابعه الخاص في الاستدلال، فكما أعجز العرب رغم نزوله بلغتهم، فكذلك معجز للطرق الفلسفية.

ولا أعني أنه بهذا الإعجاز لا يتفق مع القواعد الفلسفية والمنطقية البتة، بل "إذا صح لنا أن نقول إن في القرآن شيئاً من المنطق فإنما هو منطق العقل والضمير، منطق الحجة والبرهان... منطق البلاغة والبيان ... وليس منطق أرسطو القائم على القياس ذي المقدمتين والنتيجة" (١).

وقد وقفت بحمد الله على ثمانية وعشرين أسلوباً أو مسلكاً نهجها القرآن الكريم في رده على المخالفين وهي:

أولاً: السبر والتقسيم:

السبر في اللغة: الاختبار، والتقسيم: مأخوذ من قسم الشيء إذا جزأه وفرقه.

وفي الاصطلاح: السبر: اختبار الوصف في صلاحيته وعدمها للتعليل به.

والتقسيم: حصر الأوصاف المحتملة للتعليل بأن يقال: العلّة إما كذا

(١) مناهج الجدل: ٩٥.

أو كذا.

والمراد هنا بمجموع الاسمين: حصر الأوصاف التي تصلح للتعليل في بادئ الرأي، ثم إبطال ما لا يصلح منها، فيتعين الباقي للتعليل (١).

ولهذا الأسلوب أسماء أخرى: فالجدليون يسمّونه التقسيم والترديد، والأصوليون السبر والتقسيم، والمنطقيون الشرطي المنفصل (٢).

وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأسلوب ضمناً وتصريحاً في مواطن كثيرة (٣)، ومن شواهد ذلك ما يلي: قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣ – ١٤٤].

فإن الكفار – لمّا حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى – ردّ الله تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال: إن الخلق لله، خلق من كل زوجٍ مما ذُكر ذكراً وأنثى، فمم جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي: ما علته؟

لا يخلو: إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم

(١) التعاريف للمناوي: ٣٩٦، والمهذب في علم أصول الفقه المقارن: ٥/ ٢٠٦٧.
(٢) أضواء البيان: ٣/ ٤٩٢.
(٣) إرشاد الفحول للشوكاني: ٣٦٤.

الشامل لهما، أو لا يدرى له علة، وهو التعبدي، بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى: إمّا بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ فهذه وجوه التحريم، لا تخرج عن واحد منها.

الأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً.

الثاني: يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً.

الثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معاً.

فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة، لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدّعوه، وبواسطة رسول كذلك، لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو: أن ما قالوه افتراء على الله وضلال"(١).

- قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

"فكأنه تعالى يقول: لا يخلو الأمر من واحدة من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح:

الأولى: أن يكونوا خلقوا من غير شيء أي بدون خالق أصلاً.

(١) الإتقان: ٢/ ٣٥٩، وأضواء البيان: ٣/ ٤٩٣.

الثانية: أن يكونوا خلقوا أنفسهم.

الثالثة: أن يكون خالقهم خالقا غير أنفسهم.

وحصر أوصاف المحل في الأقسام الثلاثة قطعي لا شك فيه ولا رابع لها البتة، وإبطال القسمين الأولين قطعي لا شك فيه، فتعين أن الثالث حق لا شك فيه وقد حذف في الآية لظهوره، فدلالة هذا السبر والتقسيم على عبادة الله وحده قطعية لا شك فيها [1].

- قوله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ﴾ [مريم:٧٨-٧٩].

ردّ الله تعالى في هذه الآية "على العاص بن وائل السهمي قوله إنه يؤتى يوم القيامة مالاً وولداً بالدليل المعروف عند الجدليين بالتقسيم والترديد... والتقسيم الصحيح في هذه الآية الكريمة يحصر أوصاف المحل في ثلاثة والسبر الصحيح يبطل اثنين منها ويصحح الثالث... أما وجه حصر أوصاف المحل في ثلاثة فهو أنّا نقول: قولك إنك تؤتى مالاً وولداً يوم القيامة لا يخلو مستندك فيه من واحد من ثلاثة أشياء:

الأول: أن تكون اطلعت على الغيب وعلمت أن إيتاءك المال والولد يوم القيامة مما كتبه الله في اللوح المحفوظ.

الثاني: أن يكون الله أعطاك عهداً بذلك، فإنه إن أعطاك عهداً لن يخلفه.

الثالث: أن تكون قلت ذلك افتراءً على الله من غير عهد ولا اطلاع غيب وقد ذكر تعالى القسمين الأولين في قوله: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ

---

(١) أضواء البيان: ٣/ ٤٩٤- ٤٩٥.

عَهْدًا ﴾ مبطلاً لهما بأداة الإنكار، ولا شك أن كلا القسمين باطل... فتعين القسم الثالث وهو أنه قال ذلك افتراء على الله وقد أشار تعالى إلى هذا القسم الذي هو الواقع بحرف الزجر والردع وهو قوله ﴿ كَلَّا ﴾...[1].

ثانياً: الاستفهام التقريري:

"وهو الاستفهام عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها وهي تدلّ على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بإنكار الباطل" [2].

وليس مراد القرآن من هذا الاستدلال مجرد تسليم الخصم بما استفهم عنه القرآن، كما هي الحال في المناهج الفلسفية والقواعد المنطقية بل غاية القرآن تتعدى ذلك إلى دعوة الناس للانقياد للحق المسلم به ومجانبة الباطل.

وهذا النوع من الاستدلال هو من أحسن أساليب القرآن الكريم في الاستدلال؛ لأنه يتضمن من الخصائص الزائدة على المعنى المراد الإخبار به، ما يجعله أشد إثارة للاهتمام وتأثيراً في النفوس متضمناً في نفس الوقت الإلزام بالحجة التي لا تدفع.

ومرجع ذلك إلى أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل

(١) أضواء البيان: ٣/ ٤٩٢.

(٢) مناهج الجدل: ٧٦.

اهتمامه لما يلقى إليه ليتمكن من فهمه ثم الإجابة عنه. فإذا كان الاستفهام تقريرياً فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف وينتزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام، وهذا الاعتراف هو ما يريده المستفهم لأنه يؤكد حجته ويبطل حجة خصمه. ولا شك أن هذا أبلغ من الأسلوب الإخباري لما يتضمنه من هذه الخصائص" (١).

وأمثلة هذا النوع في القرآن الكريم كثيرة جداً ومنها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَٰهُ

(١) أسلوب الدعوة القرآنية: ١٧٢.

ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾[البلد:٨-١٠].

وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٤٣].

ثالثاً: القصص القرآني:

لقد تفرد القصص القرآني بأنه أحسن القصص وأنه القصص الحق، وقد أدى وظيفة سامية في شؤون الدين والدنيا والآخرة جميعاً، بعد أن ابتذلتها الجاهليات، وجعلتها أسوأ وسيلة لتهييج الغرائز وإثارة الشهوات، في القديم والحديث [١].

والقرآن الكريم إذا ساق القصة في الرد على المخالف، يجعل موضوع القصة رسولاً يعترف المخالف بقدره ومكانته والسبب في ذلك أن مجيء الدليل على لسان رسول يقر بفضله المخالفون كإبراهيم عند العرب وموسى عند بني إسرائيل يعطي الدليل قوة فوق قوته الذاتية إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهتين: من جهة قوة الدليل الذاتية، ومن جهة أن الذي قاله رسول أمين يعرفونه، فيكون هذا قوة إضافية، وفوق ذلك فيه

(١) المنهاج القرآني: ٧٣٠-٧٣١.

إلزام وإفحام إذ أنهم يدّعون أنهم أتباعه.

وقد يجعل القرآن الكريم موضوع القصة وصية يوصي بها الرسول أمته وذريته، فيعرف المخالف أنه خان وصية الرسول الذي يدعي متابعته في وصيته.

وقد يجعل موضوع القصة أقواماً صالحين أو غير صالحين، أو على لسان حيوان فيكون لذلك غرابة تثير الانتباه، وتملأ النفس إيماناً بالحقيقة التي قد يجحدها من كرمه الله بالعقل [1].

فمن قصص الأنبياء – وهي كثيرة جداً – قصة نوح – عليه السلام – قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [نوح: ١ – ٤].

ومن قصص غير الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام – قصة أصحاب الكهف: قال تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ [الكهف: ١٣ – ١٥].

(١) مناهج الجدل: ٧٩- ٨٠، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٩٦- ٣٩٧.

ومن قصص غير الصالحين قصة قارون، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ ... إلى قوله تعالى ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [القصص: ٧٩- ٨٢].

ومن القصص ما جاء على لسان هدهد سليمان – عليه السلام –، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٠ – ٢٢].

رابعاً: ضرب الأمثال أو القياس:

صرح القرآن الكريم بأنه ضرب الأمثال للمخالفين، وذلك في أكثر من آية ومنها:

قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤].

قولـه تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧].

وقـــال تعـــالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٣].

والأمثال القرآنية محكمة في ألفاظها ومعانيها، قاطعة في براهينها، متقنة القياس، وهي تهدي إلى الحكمة، حيث تضرب لبيان الحق في العقائد والأخلاق والمعاملات والأحوال ونحوها، ومن تفكر في الأمثال القرآنية وتدبرها وفقهها وعمل بما دلت عليه فقد أوتي حظاً عظيماً من الحكمة [(١)].

قال ابن القيم – رحمه الله -:"ضرب [الله] الأمثال وصرفها في الأنواع المختلفة، وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً تتضمن تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل، وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين، وإنكار التفريق بينهما، والفرق بين المختلفين، وإنكار الجمع بينهما" [(٢)].

وقد استخدم القرآن الكريم ضرب الأمثال في الرد على المخالف لعدة أسباب منها:

١- لأن الإنسان "يميل بطبيعته إلى الاستشهاد بالأمثال لما يرى فيها من جمال حكمتها ورشاقة لفظها، وإصابتها المعنى، وطرافتها التي تتجدد

(١) الأمثال القرآنية: ١/ ١٣٤.

(٢) إعلام الموقعين: ١/ ١٠١.

ولا تبلى، مما نرى أثره في وجوه السامعين لها وإقبالهم عليها وتسليمهم بحكمها" [(١)].

٢- "أن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع فإن المورد للمثل إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، ومسلم لديه. ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم وتحقق الإلزام به"[(٢)].

ومن الموضوعات التي رد القرآن الكريم على المخالفين فيها بضرب الأمثال ما يلي:

١- ما ضربه لمعبوداتهم من دون الله:

- قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٨].

وهذا دليل قياس احتج الله به على المشركين حيث جعلوا من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجج أن يؤخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليها بما هو في نفسه مقرر عندها معلوم لها، فقال: هل لكم من ما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء تخافونهم

(١) أسلوب الدعوة: ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٩، البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤٨٧.

أن يقاسموكم أموالكم... والمراد إقامة الحجة على المشركين، فإنهم لابد أن يقولوا: لا نرضى بذلك، فيقال لهم:كيف تنزهون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم وهم أمثالكم في البشرية، وتجعلون عبيد الله شركاء له؟ فإذا بطلت الشركة بين العبيد وسادتهم فيما يملكه السادة، بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه، والخلق كلهم عبيد لله تعالى، ولم يبق إلا أنه الرب وحده لا شريك له" (١).

ومن الآيات التي ضرب الله فيها الأمثال لما عبد من دونه، قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦] (٢).

٢- ما ضربه من الأمثلة لبيان عجز آلهتهم:

- قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ

(١) انظر: إعلام الموقعين: ١/ ١٢٣، فتح القدير: ٤/ ٢٢٣.

(٢) انظر: بدائع التفسير: ٣/ ٤٤- ٤٦.

ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[الحج: ٧٣].

قال ابن القيم – رحمه الله – حول هذا المثل: "حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله" (١).

- وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

قال ابن القيم – رحمه الله -:"تحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم:

(١) أعلام الموقعين: ١/ ١٣٩.

٨١ – ٨٢]" (١).

والأمثلة المضروبة لحال المخالفين ومعبوداتهم في القرآن أكثر بكثير مما ذكر، والمراد بيان أن القرآن سلك هذا المسلك وهو القياس أو ضرب الأمثال في الرد على المخالفين، ومن أنواع القياس التي سلكها القرآن الكريم خلال هذه الأمثال والردود ما يلي:

١ - الأقيسة الإضمارية:

القياس المضمر هو: القياس الذي "طويت مقدمته الكبرى أو الصغرى إما لظهورها والاستغناء عنها وإما لإخفاء كذبها أي تحذف في هذا القياس أحد المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف" (٢).

وقد نص ابن أبي العز على وجود هذا النوع من الأقيسة في القرآن الكريم فقال: "إن الطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف (إحدى المقدمات) وهي طريقة القرآن الكريم" (٣).

ومن مواطن استعماله في القرآن الكريم ما ردّ به تعالى على المخالفين – النصارى – في زعمهم إلهية عيسى – عليه السلام – قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[آل عمران:٥٩ – ٦٠].

وبيان القياس في الآية كالتالي: إذا كان الخلق من غير أبٍ مسوغاً

(١) المصدر السابق: ١/ ١١٩.

(٢) أسس التفكير: ٧٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ١/ ٣٨.

لاتخاذ عيسى إلهاً فأولى أن يكون الخلق بغير أب ولا أم مسوغاً لاتخاذ آدم إلهاً، ولا أحد يقول ذلك.

ففي هذا القياس حذفت مقدمته وكان القياس هو: إن آدم خلق من غير أبٍ ولا أمٍ وعيسى خلق من غير أب، ولو كان عيسى إلهاً بسبب ذلك لكان آدم أولى أن يكون إلهاً، وآدم ليس ابناً لله ولا إلها باعترافكم فعيسى أيضاً ليس ابناً لله ولا إلهاً [(١)].

ويقول الرازي في بيان هذا القياس أيضاً: "وإذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب، فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم؟ بل هذا أقرب إلى العقل، فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس" [(٢)].

وهذا الحذف "قد صيّر في الكلام طلاوةً وأكسبه رونقاً وجعل الجملة مثلاً مأثوراً يعطي الكلام حجة في الرد على النصارى ويذكر الجميع بأن آدم والناس جميعاً ينتهون إليه وإنما خلق من تراب فلا عزة إلا الله تعالى" [(٣)].

٢- القياس الطردي والعكسي:

والمراد بهذا القياس:

أ- **الطردي**: إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه.

ب- **العكسي**: نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من القياس وكانت في سياق الرد

---

(١) تفسير القرطبي: ٤/ ١٠٣، وإعلام الموقعين: ١/ ١٣٤، وأسس التفكير: ٧٤ .

(٢) التفسير الكبير: ٨/ ٧٩.

(٣) مناهج الجدل: ص ٧٥- ٧٦.

على المخالفين قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

هذا مثلان متضمنان قياسين من قياس العكس وهو نوعان: قياس طرد، وقياس عكس، **فالمثل الأول**: ما ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثان فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء، فكيف تجعلونها شركاء لي وتعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين.

وأما المثل الثاني: فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون من دونه أيضاً فالصنم الذي يعبدونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة وأينما أرسلته لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة، والله سبحانه حيّ قادر متكلم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد. فكيف تسبغون وصف الألوهية الذي هو من خصائصه تعالى على أصنامكم مع الفرق الشاسع بينهما [(١)].

(١) الأمثال في القرآن: ٢١-٢٢.

٣- قياس الخُلْف:

ويعني هذا القياس: "إثبات المطلوب بإبطال نقيضه" [١]. وسمّي بقياس الخلف: إما لكونه يستلزم الرجوع من النتيجة إلى الخلف لأخذ المطلوب من المقدمة المتروكة والمجهولة، وهي مقدمة الخصم الكاذبة وذلك بالبرهنة بكذبها على صدق نقيضها، وإما لكونه مضافاً إلى الخلف، وهو الكذب المناقض للصدق [٢].

وهذا النوع من القياس يسميه علماء الكلام دليل التمانع ويستدلون له من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ويقرر أهل الكلام هذا الدليل بأنه "لو كان في السموات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب وإن هذا التنازع يؤدي إلى فسادهما لتناقض الإرادتين، ولكنهما صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدي إلى الفساد فكانت الوحدانية فسبحان الله رب العرش عما يصفون" [٣].

ولا شك أن هذا التقرير منهم نابعٌ عن منهجهم القاصر في تقرير التوحيد، حيث ظنوا أن توحيد الربوبية هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا باطل.

بل كانت دعوتهم إلى توحيد الألوهية الذي هو الغاية المقصودة،

(١) مناهج الجدل: ٧٧.

(٢) الأدلة العقلية في القرآن: ٤٦٩.

(٣) مناهج الجدل: ٧٨.

وشاهد هذا من الآية السابقة أن الله – جلّ وعلا – لم يقل "لو كان فيهما إلهان، بل المقدر آلهة غير الإله المعلوم أنه إله، فإنه لم ينازع أحد في أن الله إله حق، وإنما نازعوا هل يتخذ غيره إلهاً مع كونه مملوكاً له ..."(١).

وليس هذا مقام البسط في الرد على هذا المعتقد الخاطئ لدى أهل الكلام، بل المقصود تقرير أن دلالة التمانع في الآية صحيحة في إثبات الألوهية المتضمنة للربوبية.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا القياس أيضاً:

- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

فهذه الآية لإثبات أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، فإذا أثبت أنه لا اختلاف فيه ولا تناقض، بطل أن يكون من عند غير الله، فلزم أن يكون من عنده سبحانه (٢).

- وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٢]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

٤- قياس ما في الغيب على المشاهد:

وتعريف هذا القياس "أن نساوي بين ما غاب عن حسنا مما أخبرنا به وبين ما نعرفه فيكون ذلك أدعى لفهمنا وأسهل في تصورنا وتكون لنا به العناية إن كان حسناً، والبعد إن كان سيئاً " (٣).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٩/ ٣٦٩-٣٧٠، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ٢٤.

(٢) منهج الجدل والمناظرة: ٤٠٢.

(٣) المدخل: ٥٩.

قال ابن تيمية – رحمه الله –: "لا ريب أن قياس الغائب على الشاهد يكون تارة حقاً وتارةً باطلاً وهو متفق عليه بين العقلاء" (١).

وهذا النوع من القياس ينقسم إلى قسمين:

الأول: "قياس فاسد: وهو قياس الكفار حالهم في الآخرة على حالهم في الدنيا، وذلك بحصول النعيم لهم في الآخرة كما حصل لهم في الدنيا" (٢).

قال تعالى مشيراً إلى قياسهم هذا: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبأ: ٣٥–٣٨].

الثاني: قياس صحيح ومنه قياس أمور الآخرة على ما في الحياة الدنيا لهدف التقريب لا المماثلة.

وقد برز هذا النوع من القياس في ردود القرآن الكريم على من أنكر البعث والنشور ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ

(١) بيان تلبيس الجهمية: ١/ ٣١٧.

(٢) المدخل: ٥٩.

﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٧٨ – ٨١].

- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

- وقوله جلّ وعلا: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]. إلى غير ذلك من الآيات التي قربت أمور الآخرة بأحداث الدنيا.

٥- قياس الدلالة:

وهو: "الجمع بين الأصل والفرع في الحكم، بدليل العلة وملزومها"(١).

ومن الآيات التي ورد فيها هذا القياس قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

ففي هذه الآية الكريمة قاس الإحياء على الإحياء، والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه، وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة، وقد كرر سبحانه أمثال هذا الدليل في كتابه مراراً، وذلك لصحة مقدماته، ووضوح دلالاته، وقرب تناوله وبعده عن كل معارضة وشبهة (٢).

(١) إعلام الموقعين: ١/ ١٣٨.
(٢) المصدر السابق: ١/ ١٣٩– ١٤٥.

٦- القياس الشرطي [١]:

وهو القياس الذي تكون إحدى قضاياه شرطية.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من القياس قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقد رد الله – جلّ وعلا – بهذه الآية الكريمة وعلى هذه الصورة من القياس على كل من رفع محمداً – صلى الله عليه وسلم – فوق مكانته التي وهبه الله إياها. وصورة هذا القياس الشرطي كالتالي:

إذا كان من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يعلم الغيب بشر (فعل شرط).

ومحمد – صلى الله عليه وسلم – لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يعلم الغيب.

إذن محمد – صلى الله عليه وسلم – بشر (جواب الشرط).

٧- قياس العلة [٢]:

والمراد بهذا القياس: أن تكون العلة في الفرع أولى بالحكم منها في الأصل.

وهذا النوع ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ

(١) انظر: أسس التفكير: ٧٣.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٤٢٦، إعلام الموقعين: ١/ ١٣٤، الحوار مع أهل الكتاب: ١٩٠.

خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩ – ٦٠].

وتقرير هذا النوع على هذه الآية كالتالي: إذا اتخذوا عيسى إلهاً لأنه خلق من غير أب فآدم أولى لأنه خلق من غير أب ولا أم، وهذا من باب تشبيه الغريب بالأغرب؛ لأن خلق عيسى من خلق آدم، وذلك ليكون أقطع للخصم، وأوقع في النفس.

ومن الشواهد أيضاً لقياس العلة، قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، أي قد كان من قبلكم أمم أمثالكم فانظروا إلى عواقبهم السيئة، واعلموا أن سبب ذلك كان تكذيبهم بآيات الله ورسله، وهم الأصل وأنتم الفرع، والعلة الجامعة التكذيب، والحكم الهلاك [١].

خامساً: مطالبة المخالف بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدّعاه:

وهذا المنهج كثير في القرآن الكريم وهو منهج يفحم المخالف ويقطع عليه حجته.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا المنهج قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠].

(١) إعلام الموقعين: ١/ ١٣٤.

وهذه المطالبة في هذه الآية:"بين أمرين لابد من واحد منهما، وقد تعين بطلان أحدهما فلزم ثبوت الآخر، فإن قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ خبر عن غيب لا يعلم إلا بالوحي، فإما أن يكون قولاً على الله بلا علم فيكون كذباً، وإما أن يكون مستنداً إلى وحي من الله وعهد عهده إلى المخبر، وهذا منتفٍ قطعاً، فتعين أن يكون خبراً كاذباً قائله كاذب على الله تعالى" (١).

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤].

ففي هذه الآية الكريمة يجيبهم تعالى"عن دعواهم خلوص الآخرة لهم بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ لأن الحبيب لا يكره لقاء حبيبه، والابن لا يكره لقاء أبيه، لاسيما إذا علم أن كرامته ومثوبته مختصة به، بل أحب شيء إليه لقاء حبيبه وأبيه، فحيث لم يجب ذلك ولم يتمنه فهو كاذب في قوله مبطل في دعواه" (٢).

سادساً: القول بالموجب (٣):

والمراد به ردّ كلام الخصم ودعواه من فحوى كلامه وهو قسمان:

الأول: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم،

---

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٤٤، تفسير ابن كثير: ١/ ١١٨، مناهج الجدل: ٨٠.

(٢) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٥٠.

(٣) انظر الإتقان: ٥/ ١٩٦٠.

فيثبتها لغير ذلك الشيء، ومثاله قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨].

فـ (الأعز) في كلام المنافقين وقعت كناية عن فريقهم، (والأذل) كناية عن فريق المؤمنين، أثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة فأثبت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، إذ أثبتها تبارك وتعالى له ولرسوله وللمؤمنين، فكأنه قيل صحيح ما تقولون (ليخرجن الأعز منها الأذل) ولكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون، وأنتم الأذل وستخرجون منها.

الثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعقله.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ [التوبة: ٦١]، وذلك أن المنافقين كانوا يؤذون الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقولهم (﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ أي يصدق كل ما يقال له ويسمعه، فيقول الله سبحانه وتعالى رداً عليهم قل إنه يسمع ولكنه يسمع الخير ويقبله وهو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب ويصدق بالله ويصدق المؤمنين[1].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ١١٠.

سابعاً: فرض التسليم[(١)]:

ويكون التسليم بأن يفرض المحال: إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلّم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، ويدل على تقدير وقوعه.

- كقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[المؤمنون: ٩١].

والمعنى: ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمرُ، ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال لما يلزم منه من المحال. والفرق بين التسليم وقياس الخلف السابق أن التسليم ينفرد عن قياس الخلف بالتسليم الجدلي الوارد في الخيال[(٢)].

ثامناً: الإسجال:

والمراد به "أن تثبت على لسان خصمك ألفاظاً في سياق آخر تسجل به عليه ما كان عنده محل شبهة وإنكار"[(٣)].

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى في الرد على المنافقين: ﴿ وَإِذَا

(١) انظر الإتقان: ٥/ ١٩٦٠-١٩٦١.

(٢) انظر: مناهج الجدل: ٨٢.

(٣) مناهج الجدل: ٨٢، الإتقان: ٥/ ١٩٦١.

قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١١ – ١٣].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "حكم العزيز الحكيم بين الفريقين بأن أسجل على المنافقين أربع إسجالات أحدها: تكذيبهم، والثاني: الإخبار بأنهم مفسدون، والثالث: حصر الفساد فيهم بقوله: ﴿ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾، والرابع: وصفهم بغاية الجهل وهو أنه لا شعور لهم البتة بكونهم مفسدين... وأما السفهاء الذين لا عقل يميزون به بين النافع والضار فلا يجب علينا موافقتهم، فرد الله تعالى عليهم وحكم للمؤمنين وأسجل على المنافقين بأربعة أنواع: أحدها: تسفيههم، الثاني: حصر السفه فيهم، الثالث: نفي العلم عنهم، الرابع: تكذيبهم فيما تضمنه جوابهم من الإخبار عن سفه أهل الإيمان، وخامس أيضاً: وهو تكذيبهم فيما تضمنه جوابهم من دعواهم التنزيه من السفه" (١).

ومن أمثلة الإسجال أيضاً قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [غافر: ٨].

ففي هذه الآيات إسجال بالإيتاء والإدخال، وحيث وصفا بالوعد من الله

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٣١-٤٣٢.

الذي لا يخلف وعده. وما يشبه هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤].

تاسعاً: الانتقال في الاستدلال:

والمراد به "أن ينتقل المستدل من دليل إلى دليل، أو من مثال إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال الأول، أو عند فهمه وجه الدلالة ولكنه يقصد المغالطة فيأتي بدليل أو مثال آخر لا يجد الخصم معه مفراً دون الانقطاع أو التسليم" (١).

ومن الآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

عاشراً: مجاراة المخالف لتتبين عثرته (٢):

والمراد بها أن تسلم للمخالف بعض مقدماته بقصد تبكيته وإلزامه، وذلك ببيان أن هذه المقدمات المسلّم بها لا تنتج ما يريده هو، بل هي مساعدة على إنتاج ما تريده أنت.

ومثال هذا من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ

(١) الإتقان: ٥/ ١٩٦١، مناهج الجدل: ٨٢.

(٢) انظر الإتقان: ٢/ ١٠٦٠، ومناهج الجدل: ٨٣.

مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ
(١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[إبراهيم: ١٠ – ١١].

فقولهم: إن نحن إلا بشر مثلكم فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس هذا مرادهم، بل مرادهم مجاراة المخالف ليعثر، وذلك بالتسليم بدليله لكن مع منع الدلالة. وذلك ببيان أن البشرية لا تنافي الرسالة، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره، لكن هذا لا ينافي أن يمّن الله علينا بالرسالة؛ لأن سنة الله جرت أن يكون المرسلُ من جنس المرسلِ إليهم، وذلك ليعرفوا قدره ومكانته وصدقه وأمانته، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٤ – ٩٥].

الحادي عشر: الاحتجاج على المخالف بالتشهي والتحكم:

ويكون هذا الاحتجاج بأن يقول صاحب الحق للمخالف: "لا حجة لك على ما ادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل، فإن جاءك مالا تشتهيه دفعته ورددته، وإن كان القول موافقاً لما تهواه وتشتهيه إما من تقليد من تعظمه أو موافقة ما تريده قبلته وأجزته، فترد ما خالف هواك وتقبل ما وافق هواك" (١) ولا شك أن هذا يفحم المخالف ولا جواب له عليه البتة،

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٤٤.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ... [إلى قوله] ... أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

قال ابن القيم – رحمه الله – عن الاحتجاج بهاتين الآيتين أنهما: "مفحمان للخصم لا جواب له عليهما البتة، فإن الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه، والتزام بعض شرائعه يوجب التزام جميعها، ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات إذ لو كان الشرع تابعاً للهوى والشهوة لكان في الطباع ما يغني عنه وكانت شهوة كل أحد وهواه شرعاً له: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١]. (١)

الثاني عشر: المناقضة (٢):

والمراد بها إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها، ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٤٥.

(٢) انظر: مناهج الجدل: ٨٥، واستخراج الجدال من القرآن الكريم: ١١٤، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ١٥٦.

نُّؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، والنقض في هذه الآية هو في قوله تعالى: ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١]، والنقض في هذه الآية هو في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، النقض في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ [القصص: ٤٨]، والنقض هنا في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾.

الثالث عشر: إثبات أن المخالف لا حجة له وأن البرهان قام على خلاف دعواه[١]:

ومن أمثلة هذا المسلك والنوع في القرآن الكريم ما يلي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم: ٤٢ – ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ – ٨٢]. فكأن إبراهيم – عليه السلام – قال لهم: إن المحاجة لا تقوم إلا على الحجة والبرهان، ولم تثبتوا على مدعاكم شيئاً من ذلك، أما أنا فقد قام البرهان على هدايتي إلى طريق الحق والصواب، فلم لا تقبلون الحق المؤيد بالحجة والبرهان.

الرابع عشر: الدعوة إلى الملاحظة العلمية لما في الكون من ظواهر وآثار:

وهذا النوع سلكه القرآن الكريم وأكثر منه جداً في الرد على أعداء التوحيد ومخالفيه، بل أمر به المؤمنين الموحدين وسلك ذلك بصور شتى وأساليب عدة ومن ذلك على سبيل الإجمال ما يلي:

(١) انظر: مناهج الجدل: ٨٦، وبدائع الفوائد: ٢/ ٤٥٢، والحوار مع أهل الكتاب: ١٩٩.

١- الرد على المخالفين بدليل الخلق:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[البقرة :١١٦-١١٧].

ودليل الخلق هذا له دلالة يدخل فيها وجود الحيوان كله، ووجود النبات ،ووجود السماوات، وهذه الطريقة تبنى على أصلين موجودين بالقوة في جميع الفطر : أحدهما: أن هذه الموجودات مخلوقة مخترعة . الثاني : أن لكل مخلوق خالقا .

فيصح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلاً خالقاً مخترعاً له . (١)

٢- الرد على المخالفين بدليل العناية أو التناسق (٢):

بين القرآن الكريم أنه لا يوجد شيء في الكون إلا في محله المناسب وبالقدر المناسب، فكل ما فيه في غاية الحكمة والعناية والإتقان ومن الأمثلة القرآنية على هذا المسلك:

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ

(١) الكشف عن مناهج الأدلة : ٦١ .

(٢) انظر: عقيدة التوحيد: ١٤٧.

ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١ – ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[الحجر:١٩–٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴾ [النبأ: ٦ – ١٦].

وهذا المسلك الذي سلكه القرآن – مسلك الملاحظة – يمتاز بأن "تأثيره ذاتي متجدد، لا يختص بعصر دون عصر، ولا بجنس دون جنس ولا بمستوى ثقافي دون آخر، فمتى وجه الإنسان فكره إلى هذا السبيل انثالت عليه تأثيراته العقلية والروحية، فلا يملك لها دفعاً. وكلما ازداد علماً ازدادت قدرته على استقبال فيض أعظم من هذه التأثيرات"(١) وعبر بعضهم عن هذا المنهج بما يسمى بالمنهج الاستقرائي أو المنهج الفرضي العلمي. واستدل بآيات كثيرة على أن القرآن الكريم وضح "أهمية الملاحظة

(١) أسلوب الدعوة: ٣٤٣.

الدقيقة لما يجري حولنا من الظواهر الكونية الحسية وإثبات صدق القضايا المختلفة عن طريق الاستقراء الذي يعتمد على التجربة الحسية الواقعية وليست التجربة العملية كما هو الحال في التجربة العلمية وهي تجارب واقعية تتضمن روح المنهج الاستقرائي في اتخاذ التجربة الحسية محكاً للصدق وفي اعتمادها على الواقع المشاهد الملموس"(١).

الخامس عشر: إفحام المخالف ببيان أن دعواه تلزمه القول بما لم يقل به أحد وبما لم يعترف به هو:

ومثال هذا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٠ – ١٠١].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "وأما منافاة عدم المصاحبة للولد فظاهر أيضاً، لأن الولد إنما يتولد من أصلين فاعل ومحل قابل يتصلان اتصالاً خاصاً فينفصل من أحدهما جزء في الآخر يكون منه الولد، فمن ليس له صاحبة كيف يكون له ولد؟ ولذلك لما فهم عوام النصارى أن الابن يستلزم الصاحبة لم يستنكفوا من دعوى كون مريم آلهة وأنها والدة الإله عيسى، فيقول عوامهم: يا والدة الإله اغفري لي، ويصرح بعضهم بأنها زوجة الرب ولا ريب أن القول بالإيلاد يستلزم ذلك أو إثبات إيلاد لا يعقل ولا يتوهم، فخواص النصارى في حيرة وضلال، وعوامهم لا

(١) أسس التفكير: ٦٤.

يستنكفون أن يقولوا بالزوجة والإيلاد المعقول، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، والقوم في هذا المذهب الخبيث أضل خلق الله، فهم كما وصفهم الله بأنهم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل" (١).

السادس عشر: التحدي:

ويكون هذا التحدي على أمرين:

١. صدق دعوى صاحب الحق.

٢. بطلان دعوى المخالف.

وكلا الأمرين ورد في القرآن الكريم.

أولاً: صدق دعوى صاحب الحق:

بعد أن نزل القرآن الكريم على الرسول – صلى الله عليه وسلم – شكك المشركون في مصدره فأبطل الرسول – صلى الله عليه وسلم – جميع شبههم حوله وكان من أساليب رده عليهم في هذه المسألة التحدي حيث قال إن هذا القرآن الكريم من عند الله تعالى وليس من عند البشر وتحداهم في الإتيان بمثله أو ببعضه :

قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٥٥.

مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

ولما عجزوا بعد هذه التحديات جميعاً، سجل عليهم هزيمتهم وأعلن ظفر القرآن بالإعجاز وكذبهم فيما ادعوه من نسبة إلى غير الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]. (١)

ثانياً: التحدي على بطلان دعوى المخالف:

وقد ورد هذا في القرآن الكريم حينما أراد بيان عجز آلهة المشركين وضلالها على لسان كثير من الأنبياء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٤ – ١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وغير ذلك من الآيات التي تحدى بها سائر الأنبياء أقوامهم أن يلحقوا

(١) مناهل العرفان: ١/ ٣١٢.

بهم ضرراً ومنها قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨ – ٧٠].

ومنه أيضاً ما ورد في القرآن الكريم من ذكر مباهلته – صلى الله عليه وسلم – لنصارى نجران، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

السابع عشر: توضيح الرد وتبسيطه أمام ذهن المخالف بتحليله إلى عناصره البسيطة:

وقد ردّ الله تعالى بهذا الأسلوب على منكري البعث فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ [الحج: ٥].

وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٦ – ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً

فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٦].

الثامن عشر: كشف ما يخفيه المخالف في نفسه:

وهذا أسلوب سلكه القرآن الكريم مع المخالفين وخصوصاً مع المنافقين حيث كان يكشف للرسول – صلى الله عليه وسلم – ما يدور في أنفسهم من السوء والنفاق ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٩].

- وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٣ – ١٤]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

التاسع عشر: المنهج المقارن [١]:

والمراد به المنهج الذي نوصل به المخالف إلى الحقيقة عن طريق المقابلة والمقارنة بين الأحداث والآراء بعضها ببعض لكشف ما بينها من تشابه أو اختلاف أو علاقة.

ومن الآيات التي ردت على المخالفين على طريقة هذا المنهج ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[الأنعام: ١٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ١٩ – ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: ٢٠].

ولا شك أن سلوك هذا المسلك الذي سلكه القرآن يساعد المخالف

---

(١) انظر: أسس التفكير: ٨٨.

على إدراك الحقيقة ويوضح له الفروق بين المتناقضات والعلاقة بين الأشياء حتى يسهل الوقف عليها ومعرفتها معرفة صحيحة.

العشرون: الترغيب والترهيب:

وهذا مسلك ناجع لمن لا تجدي معهم أساليب الإقناع والحجج فيلجأ معهم إلى الترغيب بالنصر والتمكين في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة وكذا بالخسارة والذلة في الدنيا لمن خالف ولا يكفي الترهيب بالدنيا بل وفي الآخرة حسرة وندامة نسأله تعالى العافية والسلامة.

ومن الآيات التي سلك فيها القرآن الكريم هذا المسلك مع المخالفين ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى

ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ
مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ
نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا
يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ
ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾
وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ
عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ
وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم
بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت: ١٣ – ٢٤].

الحادي والعشرون: الأسلوب التلقيني:

وهو أسلوب يسوق القضايا ويقرر الحقائق على هيئة أسئلة توجه للمخالف حول الحقائق الأولية التي لا يمكن لأحدٍ أن يجحدها وذلك لتقريره بالحق واعترافه بإنكار الباطل.

وهذا الأسلوب ورد كثيراً في القرآن الكريم ومن أمثلته ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ
كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣ – ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٦ – ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٥٨– ٧٤].

الثاني والعشرون: التوكيد والتكرار (١):

وهذا الأسلوب ردّ القرآن الكريم به على المخالفين لأنه من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به.

وقد توسع القرآن الكريم في استخدام هذا الأسلوب توسعاً يتجاوز

(١) أسلوب الدعوة: ٣٤و ٣١٣.

به أساليبه المصطلح عليها، ولم يقتصر في استخدامه على غرض دون غرض بل إنه يكاد يستخدمه في التعبير عن قضاياه كلها، فهو يؤكد صفاته تعالى، ويؤكد حين يعد أو يوعد، ويؤكد حين يدعو للعقائد، وحين يدعو للعبادات وحين يدعو للمعاملات، ويؤكد كلما كان الخبر محل إنكار أو شك وكلما توغل الخبر في الشك زادت ألوان التأكيد لانتزاع الشك من جذوره. وهذا كله تأكيد يلاحظ فيه حال المخاطب.

وهذا مثال لاستخدامه تعالى هذا الأسلوب في الرد على من أنكر هذا الدين وتوقع سرعة زواله وتثبيت لأهل هذا الدين وأتباعه: قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

ووسائل التوكيد في هذا المثال متعددة منها [(١)]:

القسم المحذوف الذي دخلت اللام على جوابه، واللام الداخلة على جواب القسم، ونون التوكيد الثقيلة في ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ و ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ ﴾ و﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم ﴾، واسمية الجملة في قوله ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ، وضمير الفصل ﴿ هُمُ ﴾ .

ومن الآيات الأخرى التي استعمل القرآن التوكيد فيها للرد على

(١) أسلوب الدعوة: ٣١٥.

المخالف: قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٣]. فهذا تأكيد بالقسم وهو كثير في القرآن الكريم.

ومن التأكيد أسلوب التكرار ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات: ١٥]،فقد تكررت في سورة واحدة مرات عدة.

الثالث والعشرون: التنزل مع المخالف [(١)]:

والمراد به أن يتخلى كل من الفريقين عن وجهة نظر مسبقة وإعلانهما الاستعداد لتقبل الحقيقة.

ومثاله في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٤-٢٦].

الرابع والعشرون: البدء من نقطة التقاء [(٢)]:

والسبب في اتباع هذا المنهج أن المخالف لا يعدم من نقطة خير أو صواب فيبدأ بهذا الخير أو الصواب إما بالدخول إليه أو بالدخول منه ثم ينمى ويسار به إلى ما يُراد إيصاله إليه.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ

(١) انظر: أدب الحوار والمناظرة: ٦٧.

(٢) انظر: أدب الحوار والمناظرة: ٨٠.

ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٨ – ٢٢].

الخامس والعشرون: إنهاء الحوار عند اللجاجة [(١)]:

إذا وصل الحال بالمخالف وقت الرد عليه ومحاورته إلى حد اللجاجة والخوض والاستهزاء فإن القرآن شرع في مثل هذا الحال إنهاء الحوار معه بصور شتّى ومنها:

١-الإعراض: كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٢- القيام: كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ

(١) أدب الحوار والمناظرة: ٨٨.

ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

السادس والعشرون: عدم الخوض مع المخالف فيما لا ينبني عليه عمل:

لقد شرع القرآن الكريم هذا المنهج وسلكه ومن الآيات القرآنية التي قعّدت مثل هذا المنهج قوله تعالى: ﴿ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠١].

ومن الآيات القرآنية التي سلكت هذا المنهج قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٢] فكانت إجابة هذا السؤال الذي لا يترتب عليه عمل ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴾[النازعات: ٤٣]،وقوله تعالى:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ ﴾ حيث لم تكن إجابة هذا السؤال عن كنه الأهلة وكيفيتها وإنما أجاب بعملها فقال: ﴿ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩].

فكان السؤال إتيان البيوت من ظهورها، والله يأمر أن تؤتى البيوت من أبوابها.

السابع والعشرون: كشف ماضي المخالف حتى لا يغتر به:

قد يكون المخالف صاحب مكانة أو وصف يجعل البعض يتأثر بمخالفته، فكيف يكون التعامل معه؟

هذا ما حصل من أهل الكتاب فقد كان وصفهم بأنهم أهل كتاب قد يؤثر على البعض وقت نزول القرآن لما يراه منهم من تعنت وعناد وعدم إيمان بالرسول – صلى الله عليه وسلم – ورسالته، فأطال القرآن الكريم في الرد عليهم وإبطال ما عندهم وأقام الأدلة على "أن لهم من سوابق المخالفات لرسولهم مالا يستغرب معه مخالفتهم لمحمد – صلى الله عليه وسلم – وينقض عليهم دعاويهم الباطلة وتزكيتهم لأنفسهم ببيان ما يضاد ذلك من أحوالهم وأوصافهم" [١].

ومن الآيات المبينة لهذا قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٥٣].

الثامن والعشرون: مطالبة المخالف بالدليل على ما يدعيه [٢]:

كل دعوى لابد من إقامة الدليل عليها، وإلا كانت مجرد دعوى خلية عن البرهان، والدليل إما أن يكون نقليا أو عقلياً، والمطلوب في النقلي الصحة وفي العقلي صراحته وبيان حجته.

---

(١) القواعد الحسان: ٢٦.

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: ٢/ ٦٩١، والرد على المخالف: ٦٤.

وهذا ما قرره القرآن الكريم في أكثر من موضع بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]. وهذا عام في كل دعوى، ولهذا قال أهل العلم: "إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل".

ومن الشواهد القرآنية لهذا الأسلوب مع المخالفين:

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

- قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤]، ففي هذه الآية طالبهم بالدليل العقلي ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ ﴾ وبالدليل النقلي ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ [الأحقاف: ٤].

المبحث الثاني
بعض المخالفين الذين ردّ عليهم القرآن الكريم في مسائل الاعتقاد

لقد ردّ القرآن الكريم على شبهات عديدة وعلى مخالفين كثر، ومع ذلك فهو – كما سبق – لم "يذكر فيه مخاطبة كل مبطل بكل طريق، ولا ذكر فيه كل ما يخطر بالبال من الشبهات وجوابها، فإن هذا لا نهاية له ولا ينضبط"[(١)] وعلى هذا أيضاً فلن أعمد إلى استقصاء كل ما ورد فيه من مخالفين وشبهاتهم، ولكن سأعرض لأبرز المخالفين الذين ردّ عليهم القرآن الكريم مع ذكر بعض شبهاتهم وجوابه عليها، وأول هؤلاء المخالفين الضالين هو:

أولاً: إبليس – لعنه الله –:

"إن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم – عليه السلام – وهي الطين، وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسادت في الخليقة وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال" [(٢)].

وقد ذكر الله تعالى هذه الشبهة في مواطن عدة في القرآن الكريم ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٨/ ٨٨.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني: ٧.

وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١١ – ١٢].

وقد بيّن أهل العلم أن شبهة إبليس هذه داحضة من وجوه، عدة ليس هذا مقام ذكرها(١).

وقد بيّن القرآن ما عاقبه الله به وقد كان رداً ملائماً لعناده واستكباره وهذا الرد مذكور في مواطن عدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣ – ١٨].

ثانياً: المشركون:

نزل القرآن الكريم على محمد – صلى الله عليه وسلم – في وقت ضرب الشرك بأطنابه أرجاء المعمورة، فأخذت تموج بالخرافات والوثنيات من عبادة الأصنام والكواكب والجن والملائكة وغيرها ومن هنا أخذ القرآن الكريم يرد عليهم ويدعوهم إلى الحق – إلى عبادة الله وحده دون ما

(١) انظر: بدائع الفوائد: ٢/ ٤٣٨ – ٤٤٣، واستخراج الجدل: ٦٠.

سواه- وسلك في هذه الدعوة سبلاً ووسائل شتى ليس هذا مقام حصرها لذا سأكتفي بنماذج من القضايا التي ردّ عليهم فيها:

أولاً: قضية التوحيد (١):

وهي الأساس فالقرآن كله ردٌ عليهم في هذه القضية التي خالفوا فيها، ومن ردود القرآن الكريم عليهم فيها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٦ - ١١٧].

- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

- وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: ١٣٧-٣٠٢.

- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧١]. وغير ذلك من الآيات كثير جداً.

ثانياً: قضية البعث والنشور:

استبعد المشركون أن يبعثوا بعد الموت أيما استبعاد، وأنكروا ذلك وتعجبوا منه وقد صور القرآن الكريم هذا الإنكار منهم، قال تعالى: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ١ – ٣].

ومن الآيات التي ردّ الله بها تعالى عليهم في هذه القضية قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٧٧ – ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٩ – ٥٢]. إلى آخر الآيات التي ردّ الله بها تعالى عليهم في إنكارهم للبعث.

ثالثاً: قضية بشرية الرسول – صلى الله عليه وسلم –:

تذرع المشركون في إنكار نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – ببشريته وقد نقل القرآن الكريم هذا عنهم في مواضع عدة منها : قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤].

وقد ردّ عليهم القرآن في مواطن عديدة منها قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[إبراهيم: ١١]. وما رد القرآن عليه من قضايا المشركين كثير جداً، ولعل فيما سبق كفاية في الدلالة على رده عليهم وإبطال ضلالاتهم.

ثالثاً: اليهود:

لم تحظ ملة من الملل ولا قوم من الأقوام بالحديث عنهم بمثل ما حظي به اليهود من الشمول والتفصيلات في القرآن الكريم [(١)].

وليس هذا مقام حصر لما ذكره القرآن الكريم عنهم، ولا حصر لردوده عليهم وعلى مخالفتهم، ولكن سأذكر بعضاً من ردوده عليهم ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران: ٧٢ – ٧٤].

- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٨) وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ

---

(١) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود: ٣٠.

وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٥ – ٧١].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: ١٨١ – ١٨٢].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾[المائدة: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨ – ٢٩].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي ردّ القرآن الكريم بها على اليهود.

رابعاً: النصارى:

كان للنصارى أيضاً من تخصيص القرآن الكريم لهم بعض الردود حظاً ليس بالقليل، فقد تعرض لكثير من عقائدهم وبيّن فسادها بل وكفر أهلها ومن تلك الآيات:

– قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢ – ٧٣].

– وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ – ٦١].

– وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧١ – ١٧٢].

– وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠ – ٣٢].

– وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

– وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الصف: ٦ – ٧].

إلى آخر الآيات الكثيرة التي ردّ بها القرآن على مفتريات النصارى وشبهاتهم.

خامساً: المنافقون:

وهم صنف لم يكن موجوداً عند ابتداء نزول القرآن الكريم، لأنهم لم يظهروا في الإسلام إلا في العهد المدني، ومن حين ظهورهم تولى القرآن الكريم الرد على شبهاتهم وكشف نواياهم الخبيثة حتى لا يتأثر بهم بعض المسلمين ومن تلك الردود التي ردّ بها القرآن الكريم على المنافقين ما يلي:

– قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ

هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ٨-١٦].

- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٨].

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا۟

ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٥ – ٤٩].

-وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ... الآيات ﴾ [التوبة: ٥٨].

-وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١].

وغيرها من الآيات في هذه السورة التي فضحت خبث المنافقين وسوء نياتهم حتى سميت بسورة الفاضحة لكثرة ما ذكرت عنهم وعن صفاتهم.

الخاتمـة

وفي خاتمة هذا البحث أحمد الله جلّ وعلا الذي وفق لاختياره ويسر وأعان على الكتابة فيه فله الحمد جلّ وعلا أولاً وآخراً.

ومن الأمور التي يحسن أن تذكر في خاتمة هذا البحث ما يلي:

١- أن الدين الصحيح كما يقوم على تقرير العقيدة فهو أيضاً يقوم على الرد على المخالف، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، والقرآن الكريم خير شاهد على ذلك، فهو مليء بالآيات المقررة للعقيدة الصحيحة وأيضاً بالآيات التي ترد على شبه المخالفين وتبطلها كما سبق في هذا البحث.

٢- أن الانتماء الحق لأهل السنة والجماعة يقتضي الالتزام بمنهج المصدر الأول عندهم – القرآن الكريم – في كل الأمور، ومنه الرد على المخالفين وخصوصاً من قبل علماء أهل السنة والجماعة.

٣- أن القرآن الكريم ردّ على أصناف عدةٍ من المخالفين في الاعتقاد، في قضايا وشبهات متعددة ومختلفة.

٤- أن البراهين والحجج التي ردّ بها القرآن الكريم على المخالفين في الاعتقاد، اشتملت على ما فطرت عليه النفوس، وشهدت بصحته العقول، مع روعة البيان وسلامة المنطق، مما يسر فهمها لخاصة الناس وعامتهم لأنها تخاطب الناس كافة.

وقد بيّنت في هذا البحث أربعة عشر سبباً لاختيار منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين في مسائل الاعتقاد دون غيره من المناهج الكلامية والفلسفية.

وذكرت جملة من الأساليب والطرق والوسائل التي ترسم المنهج القرآني في الرد على المخالفين، بلغت ثمانية وعشرين وجهاً.

ثم ختمت البحث بذكر جملة من الطوائف المخالفة في الاعتقاد الذين ردّ عليهم القرآن الكريم ودلّلت على الرد على كل طائفة بعدّة آيات.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما سطرته في هذا البحث وأن يكون ذلك خالصاً لوجهه الكريم، واستغفره تعالى عما قد يكون وقع فيه من جهل أو سهو أو خطأ.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

- **القرآن الكريم:**
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق – بيروت، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ.
- أدب الحوار والمناظرة: على جريشة، دار الوفاء ،ط/ الثانية ١٤١٢هـ.
- استخراج الجدال من القرآن الكريم: عبد الرحمن بن نجم الحنبلي، تحقيق: زاهر الألمعي، ط/ الثانية ١٤٠١هـ.
- الاستقامة: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
- أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة: كوكب عامر، مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
- أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً: عبد الغني محمد بركة، مكتبة وهبة، ط/ الأولى ١٤٠٣هـ.
- أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية ،تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ط/ الثانية ١٤١٤هـ.
- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط/ الأولى ١٤٢٤هـ.

- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية: يسرى السيد محمد، دار ابن الجوزي، ط/ الأولى١٤١٤هـ.
- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد الرياض و مكتبة دار البيان، ط/ الأولى ١٤١٥هـ.
- البدع والنهي عنها: ابن وضاح، تحقيق: محمد دهمان، دار الصفا، ط/ الأولى ١٤١١هـ.
- البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبدالله الزركشي،تحقيق: محمد أبو الفضل، دار عالم الكتب ١٤٢٤ هـ.
- بيان تلبيس الجهمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، ط/ الأولى ١٣٩٢هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد الكلبي، دار الكتاب العربي، ط/ الرابعة ١٤٠٣هـ.
- التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، ط/ الأولى ١٤١٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم وغيره، دار الشعب.
- التفسير الكبير: محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى١٤٢١هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط/ الأولى ١٤١٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

- الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية: أحمد بن عبد الرحمن الصويان، دار الوطن الرياض، ط/ الأولى ١٤١٣هـ.
- الحوار مع أهل الكتاب: خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم الرياض، ط/ الأولى ١٤١٤هـ.
- درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية،تحقيق: محمد رشاد سالم، ط/ الأولى ١٤٠١هـ.
- الرد على المخالف من أصول الإسلام: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الهجرة، ط/ الثانية ١٤١١هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط/ ١٤١٥هـ.
- السنة: لابن أبي عاصم،تحقيق: الألباني المكتب الإسلامي، ط/ الثالثة ١٤١٤هـ.
- السنة: لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار الرمادي للنشر، ط/ الثانية ١٤١٤هـ.
- سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: خالد السبع وآخرون، دار الكتاب العربي، ط/ الأولى١٤٠٧هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: لهبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد حمدان، دار طيبة الرياض.
- شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز، تحقيق: التركي والأرناؤوط، الرسالة ط/ الأولى ١٤٠٨هـ.
- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط،

مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية، ١٤١٤هـ.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول – تركيا.
- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، ط/ الأولى ١٤١٢هـ.
- الصواعق المرسلة: محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة، ط/ الثالثة ١٤١٨هـ.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، دار ابن تيمية ،الرياض.
- العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية: عبد الله بن يوسف الجديع، دار الإمام مالك، دار الصميعي، ط/ الثانية ١٤١٦هـ.
- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
- فقه التعامل مع المخالف: عبد الله بن إبراهيم الطريقي، دار الوطن، ط/ الأولى ١٤١٥هـ.
- القاموس المحيط: الفيروز أبادي، تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، ط/ مؤسسة الرسالة.
- القواعد الحسان: لعبد الرحمن السعدي، طبع بموافقة إدارة البحوث العلمية ١٤٠٨هـ، مطابع الصائغ.
- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وبيان ما وقع فيها بسبب التأويل من الشبه المزيفة والبدع المضلة: محمد بن أحمد بن رشد، دار

الآفاق الجديدة، ط/ الأولى ١٣٩٨هـ.

- لسان العرب: لابن منظور،تحقيق: عبد الله الكبير وغيره، ط/ دار المعارف.
- مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
- مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع ابن قاسم ، دار عالم الكتب ،١٤١٢هـ.
- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة: إبراهيم بن محمد البريكان، دار السنة الخبر، ط/ الثالثة ١٤١٥هـ.
- المصباح المنير: لأحمد الفيومي، ط/ المكتبة العلمية بيروت، لبنان.
- مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط/ الأولى ١٤٠٩هـ.
- معالم قرآنية في الصراع مع اليهود: مصطفى مسلم، دار المسلم، ط/ الأولى ١٤١٥هـ.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، ط/ دار المعرفة بيروت، لبنان.
- الملل والنحل: للشهرستاني، تحقيق: أحمد فهمي،دار الكتب العلمية بيروت، ط/ الأولى ١٤١٠هـ.
- مناهج الجدل: زاهر عواض الألمعي، ط/ الثالثة ١٤٠٤هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، ط/ الأولى ١٤١٦هـ.
- المنهاج القرآني في التشريع: عبد الستار فتح الله سعيد، ط/ الأولى ١٤١٣هـ.

- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان علي حسن، مكتبة الرشد، ط / الثالثة، ١٤١٥هـ.
- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن، دار إشبيليا، ط/ الأولى١٤٢٠هـ.
- المهذب في علم أصول الفقه المقارن: عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، ط/ الأولى ١٤٢٠هـ.